تعريب العلوم الإنسانيّة

قضايا ومقترحات

للدكتور محمود ابرهيم
(عضو مجمع اللغة العربية الأردني)

مقدمة :

الاهتمام بالانسان ، سِمَة من سمات التراث العربي كلّه . فمنذ جاهلية العرب ، كان الانسان والعلاقات الانسانية ، محور ما أُنتج من ادب العرب ، وجُلّه شعر في ذلك الوقت . وحين اتت دعوة الاسلام ، وتنزّل بهذه الدعوة قرآن كريم ، كان الانسان ، فردا ، وعضوا في جماعة ، موضع الاهتمام الكبير . وقد كُرّم في النصوص القرآنية ، كما لم يُكرَّم في اي نص . فلا عجب اذن أن تكون الحضارة التي وُجدت في ظل الاسلام قد رُكّزت تركيزا خاصا على الانسان ، حتى ليصحّ القول إن من خصائصها الاولى اهتمامها بالانسان ، وإنْ لم تغفل البيئة التي عاش فيها الانسان ، والنواميس الطبيعية التي تحكمها . وما على المرء الا أن يستعرض النتاج الغزير لهذه الحضارة ، لكي يرى موضع الانسان فيه ، والتغلغلَ العميق في أحاسيس النفس الانسانية وهواجسها وتطلّعاتها .

وهنا ينبغي التنبيه الى أن شأن الدراسات الانسانية عند اية امة من الامم ، غير شأن الدراسات الطبيعية ، لان الدراسات الانسانية مرتبطة بذوات الامم ، معبّرة عن شخصياتها المتميزة ، في حين أن الدراسات الطبيعية غير مرتبطة بذاتية امة معينة ، اذ هي نتاج القوانين الطبيعية العامة الشاملة ، التي لا تتغير بتغير المجتمعات والبيئات ، ولا تتأثر بخصائص الامم . ولذا فان قِيَم الامم ومُثُلها وقواعد

اخلاقها ، انما تتراءى فيما يصدر عنهـا من دراسات انسانية ، قبـل اي نوع آخـر من الدراسات . ومعنى ذلك . ان العلـوم الانسانية لاية امـة ، ينبغي أن تكون منبثقة عن ذاتهـا ، معبرة عن شخصيتها ، والا تعرضت الأمـة لمخاطر كبيرة ، قد تؤدي في النهاية الى اذابتهـا حضاريا في امـم اخرى . وليس المقصود من هذا القول ، ان تنغلـق كلّ امـة على نفسها في مجال العلوم الانسانية ، فـلا تطّلع على ما لدى الأمم الاخرى ، وانمـا المقصود أن يُكيَّف ما يؤخذ عن الآخريـن مما يُستَحْسَن ويُقتَبَس، حتى يصطبغ بصبغة الأمـة المقتَبِسة ، ويندمج في مُثلها وقيمها ، لكـي يكون عنصر إثراء واغناء ، لا عنصر تسلّـط وطغيـان .

ولقـد مـرّ العرب بتجربة الاحتكاك بالعلوم الانسانية عنـد الآخرين ، حينما اختلطوا،زمـن العباسيين،بشعوب اخرى ذات تـراث حضاري عريق ، فترجموا عن كُتُـب الفرس ذات الصبغة الاجتماعية ، كما ترجموا عن كتـب اليونان ذات الصبغة الفلسفية ؛ ولكنهم كانـوا قادرين على أن يستوعبوا ما اخذوه عـن الفرس واليونان معـا ، ويصبغوه بالصبغة الاسلامية ، لانهـم كانوا في مرحلة ثقـة عارمة بالنفس جَعَلَتْهم قادرين على ان يطوّعوا مـا يأخذونه عن الآخريـن لعقيدتهم وقِيَمهـم ، بعد أن طوّعوه للغتهم ، ايمانا منهـم اذ ذاك بأنهم كانوا يدينون بخير عقيـدة ، ويتكلمون خير لغـة .

ومـع ذلك ، فالناظر فيما ترجمه العـرب في تلك الحقبة عـن الآخرين في نطـاق العلوم الانسانية ، يرى انـه اقلّ بكثير مما ترجموه في نطاق العلوم الطبيعية . وذلك امـر طبيعي متوقّع،لان ما كانـوا يفتقرون اليه من العلـوم الطبيعية كان كبيرا ، وهي علوم لا تَمَسّ ،

كما ذكرنا آنفـا ، ذوات الأمم وشخصياتها ، بسبب صبغتها الشمولية العامة ، في حين أن اعتزاز العـرب اذ ذاك بما لديهم من قيـم انسانية منبثقة عن عقيدتهـم ، كانت تشعرهم انهـم في غنى عما لدى الآخريـن ،

وانهم هم الذين يحملون رسالة انسانية عامة ، من واجبهم أن ينقلوها الى شعوب الارض جميعا .

والذي ينبغي أن نتذكره الآن ، هو انه عندما اتصلنا في العصر الحديث بالعلوم الانسانية الغربية ، لم يكن لدينا ثقة اسلافنا بالنفس ؛ بل على النقيض من ذلك ، كنّا — وما نزال لسوء الحظ — نشعر بتفوّق الآخرين في كل شيء تقريبا ، وبالانسحاق امامهم في كل شيء تقريبا كذلك . ولذا فاننا ونحن نأخذ عنهم علومهم الانسانية ضمن ما نأخذ ، نتعرّض ، اذا لم نُحسن التنبُّه ، الى مخاطر إحلال قواعد محلَّ قواعد ، وقِيَم محلّ قيم ، وبالتالي الى مخاطر اذابة شخصيتنا الحضارية في شخصية حضارية اخرى . وقد تفاقم هذا الخطر في الآونة الاخيرة ، بعد أن كادت حضارة الغرب ، بما توافر لها من امكانيات هائلة ، تطغى على حضارات الشعوب جميعا ، وبعد أن وُلِّدت تجربتنا الصعبة مع الصهيونية وحلفائها ، الشعور بالاحباط عند الكثيرين منا ، بكل ما ينبثق عن هذا الشعور من هوانٍ على النفس ، ونقدٍ قاس للذات يبلغ حدّ التهديم .

العلوم الانسانية في الجامعات العربية :

في نطاق الحديث عن تعريب العلوم الانسانية في الجامعات العربية ، قد يقال أن القضية غير قائمة اصلا ، أو هي قضية جزئية ، لان العلوم الانسانية : من فلسفة واجتماع وتربية وعلم نفس وعلوم سياسية واقتصادية ، الى غير هذه مما يدخل فيما اصطلح على تسميته ب « العلوم الانسانية » ، تُدَرَّس فعلا باللغة العربية في الاغلبية الساحقة من الجامعات العربية ، وبخاصة جامعات المشرق العربي ؛ ولا يشذّ عن ذلك الا عدد محدود من هذه الجامعات ، وبخاصة في المغرب العربي .

وهذا القول ، ولو انه صحيح من الناحية الاحصائية ، الا انه يغفل مجموعة من الامور التي لا بد من توافرها ، لكي يصبح

بوسعنا القول بأن هذه العلوم معرّبة فعلا . ويمكن ايجاز هذه الامور فيما يلي :

١ ــ ان اللغة التي تدرَّس بها هذه العلوم في معظم الجامعات العربية ، انما هي خليط من عامية ومفردات أجنبية ، وهي بالتالي ليست اللغة العربية السليمة الموحدة ، التي يفهمها أبناء العرب على اختلاف مواطنهم .

٢ ــ ان المصطلحات التي تُستَعمَل في التدريس ليست مصطلحات عربية موحدة ، ذات دلالات واحدة ؛ فهي تختلف من بلد الى آخر ، بل من جامعة الى أخرى ؛ وكثيرا ما تقدم بألفاظها الاجنبية ، حسب لغة البلد الاجنبي الذي تَلَقَّى فيه استاذ المادة ثقافته .

٣ ــ في كثير من الجامعات العربية ، لم تجر محاولات لربط المصطلح الجديد بمصطلح عربيّ مقابل سَبَقَ أن استعمله اسلافنا ، واكتسب من خلال استعماله عبر القرون دلالات وايحاءات تاريخية وفكرية ووجدانية لا يمكن أن تتوافر في مفردة جديدة على الأذن العربية .

٤ ــ وفي كثير من الحالات كذلك ، يجري النقل من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية في العلوم الانسانية ، دون ادراك الناقل للخلفيّة الحضارية والاجتماعية للمادة المنقولة عن مصدر أوروبي أو أمريكي ، ولا لمدى تواؤم هذه المادة مع المجتمع العربي ، بأوضاعه التاريخية ، والحضارية والاجتماعية الخاصة به . في حين أن الذي يتصدى لنقل مثل هذه المواد ، ينبغي أن يكون على علم بأوضاع كلا المجتمعين المعنيين : المجتمع المنقول عنه ، والمجتمع المنقول اليه ، حتى تُقَدَّم المادة الى الطلبة ، وهم على بصيرة بخلفيتها عند الآخرين ، وبمدى تواؤمها مع مجتمعهم .

٥ ــ وقــد يحدث ان يكون الناقل ــ مترجمًا كان ام مدرِّســا ــ لا يتعاطف فكريا ووجدانيا مع المجتمــع العربي الذي ينتمي اليــه ؟ بــل قد لا يكون على بيّنة من تاريخ هذا المجتمــع ، وما ارتبط بــه من نُظُم وقواعد وقِيَم ، ومن التطورات التي مــر بها عبر تاريخه ؛ فكثيرون هــم مدرسو العلوم الانسانية الذيــن كانت جميع دراساتهم التاليــة للمرحلة الثانوية في جامعات اجنبيــة لا تُعنَى اساسا بالمجتمــع العربي ، بل قد لا تدخل ما يرتبط بــه وبمقومات الحياة فيه في مناهجها ، فيتخرّج الطالب العربي فــي هذه الجامعات وهــو يكاد لا يعرف شيئا عن المجتمــع الذي ينتمي اليه اصلا ، في حين انــه يعرف بحكم دراسته اشيــاء كثيرة عن المجتمعــات الاخرى : من يونانية ورومانية قديمة ، الى اوروبية واميركية حديثة . وحين يعود الى بلــده للعمل فــي جامعاتها ، لا يدرك ، وهو ينقل علمــه الى طلبته ، ان طبيعة المــادة التي يدرّسها ليست ذات صبغة عالمية ثابتة ، بــل هي قابلة للتكيُّف والتغيُّر بتغيُّر البيئات الاجتماعية التي تدرَّس فيها .

والخطــر في مثل هذه الحالة بيّن ، إذ أن تداخل القيــم والقواعد السلوكية والمعيشية ، وتضارب هذه القيــم والقواعد احيانا ، يُحــدِث اضطرابا في النفوس ، وبخاصة في نفوسٍ غضّة كنفوس الطلبــة ، تكون في دور التطلّع الى القيــم والمثل والانتماء التي تنبني عليها المواطنة الواحدة في البلــد الواحد ، او الانتماء الواحد في الأمــة الواحدة ، كما هي الحال بالنسبة الى طلبــة العرب ، وامــة العرب .

التعريب في صورته الصحيحــة :

ايّ نــوع من تعريب العلوم الانسانية نريد اذن ، اذا اردنــاه تعريبا سليما بريئــا من الثغرات والمحذورات المذكــورة آنفــا ؟ ان طبيعة هذه الثغرات والمحذورات،كما اوضحت آنفــا ، هي ، الى حــد كبير ، مؤشر الى طبيعة التعريب الذي نريــده للعلوم الانسانية التــي

تُدرَّس في الجامعات العربيـــة ؛ ولكن التعريب الذي نريده لهذه العلـــوم في نطاق الجامعة ، ينبغـــي أن يتناول كذلك امـــورا اخرى ؛ فليس التعريب بمقتصر على أن تكون لغـــة التدريس هي اللغـــة العربيـــة السليمة ، بل لا بـــد كذلك من ان تُجْرَى بحوث علميـــة في نطاق هذه العلوم باللغـــة العربية ، حتى يدرك المشتغلون بهذه العلـــوم علـــى جميع المستويات ، أن اللغـــة العربية يمكن أن تكون لغـــة البحث العلمي في هـــذا الميدان ، شانها في ذلك شان ايـــة لغـــة اجنبية تُنْشَر بها بحوث في العلـــوم الانسانية في الدوريات العلميـــة . والذي يَنشُر بحثا في العلـــوم الانسانية باللغـــة العربية في مجلة علمية ، لن يصعب عليه أن يؤلف كتابـــا في هذه العلوم باللغـــة العربية ، لكي يُشْعِر الطالب والقارىء العربي من أي نوع انـــه قادر على أن يجد المرجع الـــذي يقـــرأ فيه في هذه العلوم بلغتـــه ، مثلما انـــه قادر على أن يستمع الى من يتحدث في هذه العلوم باللغـــة العربية ، وحتى تصبح مفردات هذه العلوم ومصطلحاتها في متناول القارىء العربي اينما كـــان ، فتشيع على الالسنة ، ولا تنحصر بـــين مدرّس وطالب في قاعـــة محاضرات داخل اسوار الجامعـــة .

المـــــدرس :

كثـــيرا ما يقال ان تعريب التعليم الجامعي ، في جميع المـــواد لا في مـــواد دون اخرى ، هو امنية جميلة ، ولكنـــه صعب التحقيق ، لان المدرس الجامعي غـــير قادر على ان يدرّس مادتـــه لطلبته باللغـــة العربية ، بعد أن تلقّى هو هذه المـــادة بغير اللغة العربية . والمدرس كان،وما يزال ، اهـــمّ عنصر في العملية التعليمية ؛ واذا لـــم يكن هو مُعَدّاً لان يُدَرِّس باللغـــة العربية ، فلا يمكن لشيء آخر أن يجعـــل التعليم بهذه اللغة ممكنـــا .

وهـــذا القول بعجز المدرس عن التدريس باللغـــة العربية ، لا يثبت كثيرا للتمحيص الدقيق ، كما يتبين مما يلـــي :

١ ــ اذا افترضنا اولا ان المدرس المعني لا يعرف العربية اطلاقا ، لانه اجنبي، فان ذلك لا يكون مشكلة حقيقية ، لان عدد مدرسي العلوم الانسانية من الاجانب في البلاد العربية قد تضاءل الآن الى حد بعيد ، حتى غدت جامعات عربية كثيرة ، ليس فيها اجنبي واحد يدرس هذه العلوم (باستثناء مدرسي اللغات الاجنبية طبعا) . وهذا العدد القليل جدا من المدرسين الاجانب تُحَلّ مشكلته بأن يستبدل به مدرسون عرب ، وإن استُبقِيَ بعض من الاجانب لتفوّق في مادة تخصصه ، فلا باس من ان يدرِّس جزءا من المنهاج في اطار مادته باللغة الاجنبية ، لابقاء الطلبة على صلة بالمصطلح الاجنبي والمراجع الاجنبية . بل ان من المفيد ، حتى في حالة عدم وجود مدرِّس اجنبي في قسم من اقسام العلوم الانسانية في جامعة عربية ، ان يُعطَى للغرض عينه بعض محاضرات بلغة اجنبية يلقيها مدرّس عربي . وقد مررنا في قسم اللغة العربية بالجامعة الاردنية بمثل هذه التجربة حين حاضر بعض المدرسين العرب في القسم باللغة الانجليزية ، في مبادة النصوص الاستشراقية المكتوبة بتلك اللغة .

٢ ــ اما بالنسبة الى المدرسين العرب ، فان التدريس بلغة غير العربية في مادة العلوم الانسانية ، اصبح لا يتسق مع واقع هؤلاء المدرسين بحكم مصادر ثقافاتهم ، فقد ذهب الزمن الذي كانت الانجليزية او الفرنسية فيه اللغتين الاجنبيتين الوحيدتين اللتين يتعلم بهما الانسان العربي في الخارج ؛ اذ اصبح هذا الانسان يدرس في عدد كبير من اقطار العالم بلغات تختلف باختلاف القطر الذي يدرس فيه ، مما يجعل تدريس الطلبة العرب بلغة البلد الذي درس فيه المدرس امرا غير عملي ؛ ولم يبق والحالة هذه الا ان يجرى التدريس باللغة المشتركة الوحيدة بين المدرس وطلبته العرب ، وهي اللغة العربية .

وهنـــا نعود الى الدعوة القائلة بعدم قدرة المدرس الجامعـــي على أن يدرس باللغـــة العربية ؛ ويُرَدّ على ذلك ما يلـــي :

١ ــ لا يمكـــن الادعاء بأن انسانا نشأ في مجتمـــع عربي ، ودرس مـــدة اثني عشر عاما على الاقل خلال مرحلة التعليم العـــام باللغة العربية (هذا اذا لـــم يدرس بعد ذلك في ايـــة جامعة عربية) يمكن أن يكون أعجميـــا غير قادر على الابانة ، لمجرد انـــه قضى بضع سنوات من عمره في بلـــد اجنبي . وحتى ان تَعَثّر هـــذا المدرس في بداية تدريسه بلغتـــه القومية ، فان الممارسة والمـــران كفيلان بأن يزيلا هـــذا التعثّر تدريجيا ، الى حـــين التخلص منه نهائيا . وغير خافٍ مـــا ينبني على التعليم باللغة القومية من آثـــار ايجابية على المتعلمـــين ، لتفاعلهم مع الافكار المقدَّمة بلغتهـــم القومية أضعاف تفاعلهم مع أفكـــار تقدَّم اليهم بلغـــة اجنبيـــة .

٢ ــ وحتـــى نساعد مدرّسي هذه العلوم على الأداء عن انفسهم بيسر ودقـــة في اللغة العربية ، يُقتَرَح مـــا يلـــي :

أ ــ استحثاث هؤلاء المدرسين علـــى مطالعة الكتب المكتوبـــة بالعربية ذات العلاقـــة بتخصصهم ، ولا سيما كتـــب التراث العربي ، التي تقدّم نقارئها أفكارا ومـــادة لغوية ذات علاقة بالعلوم الانسانية ، بمـــا في ذلك المصطلح الفنـــي العربي ، الذي يمكن اقتباسه والاستفادة منـــه . ومع كتب التراث القديمة ، يمكن للمدرس، بالطبع ، أن يستفيـــد كذلك من الكتابات العربية الحديثة المرتبطة بالعلوم الانسانيـــة .

ب ــ اتاحـــة الفرصة لبرنامج تبادل بين مدرّسي هذه المـــواد في الجامعات العربيـــة ، حتى يتاح للمدرسين حديثي العهـــد باستعمال اللغـــة العربية في التدريس ، أن يشهدوا تدريس هذه المـــواد في الجامعات العربية التي تمرّست بتدريسهـــا

باللغـــة العربية ، وان يشاركوا هـــم في عملية التدريس بالعربية ؛ ولكي يتاح كذلك لطلبـــة الجامعات العربية حديثة العهد باستعمال العربية في التدريس ، ولمدرّسيهم ، فرصـــة الاستماع الى مدرسين زائرين ألِفـــوا التدريس بالعربية ، وهـــم يحاضرون بهذه اللغـــة .

جـ ــ تنظيـــم دراسات للتقوية في اللغـــة العربية تُعَـــدّ خِصّيصا لمدرسي العلـــوم الانسانية ، ويُعْتَمَـــد فيها على نصوص مختارة من مـــواد تلك العلوم ، ما بين قديمة وحديثـــة ، فتكون هي المحـــور الذي يُنطَلَق منه في عمليّـــة التقويـــة ، وذلك بغرض اكتساب المهـــارات اللغوية ، بما في ذلـــك التعبير غير المتعثّر مشافهةً وكتابةً بالعربيـــة ، ومن أجل الالفة بالنص العربـــي المرتبط بالعلوم الانسانية . وقـــد يُدخل في هـــذه الدراسات كذلك أعمال ترجمة من اللغـــة العربية واليها في نطاق تلك العلـــوم ، وكتابة تقارير وبحوث قصيرة فيها باللغـــة العربية .

د ــ وقـــد يكون مما يفيد ، حيثما توافرت الامكانيات ، أن يحضر هؤلاء المدرسون بعض المحاضرات في كليات التربية الموجـــودة في جامعاتهم ، للاستماع الـــى اساليب تدريس العلـــوم الانسانية التي تقـــع ضمن اختصاصاتهم ؛ اذ ان ثمـــة الكثير مـــن العناصر المشتركة في عمليـــة تدريس مـــواد معينة ، حتى في مستويات تعليمية مختلفة ، ولا سيمـــا ونحن نركز هنا على اللغـــة التي يجري بهـــا التدريس .

/ المصطلـــــح :

ومـــن اوائل القضايا التي يوردها المتخوفون من تعريـــب التعليم الجامعي بشكل عـــام ، قضية المصطلح ، انطلاقا من فكـــرة صحيحة ،

مؤداها أن المجتمع الذي ينتج المادة العلمية ، ينتج معها مصطلحاتها . وبما أن مجتمعنا ما يزال عالة على الانتاج العلمي الغربي ، الذي يتسارع في عصرنا هذا بصورة لم يسبق لها مثيل ، فانه سيواجه هذه المصطلحات الاجنبية الكثيرة التي تتسارع مع تسارع الانتاج العلمي . واذا أمكن لشعوب لم تمرّ لغاتها بالتجربة الحضارية التي مرت بها الأمة العربية ، أن تتجاوز هذه الصعوبة ، فتدرّس وتكتب وتؤلف في العلوم الحديثة كلها بلغاتها ، فان بامكاننا ان نتجاوز هذه الصعوبة كذلك اذا ما قررنا نحن مواجهتها ، وخَطّطنا لايجاد حل لها ، على اساس العمل الجماعي المنظم .

وأول ما ينبغي فعله في هذا السبيل ، التخلّص نهائيا من موقف الكثيرين من اللغة العربية واللغات الاجنبية ، وهو موقف الاعجاب والاكبار للغات الاجنبية ، واعتبارها لغات العلم والمعرفة والحضارة القادرة على مواكبة الحياة الحديثة ؛ وموقف الاستضعاف لشأن اللغة العربية ، واعتبارها لغة الماضي ، او على اكثر تقدير ، لغة الشعور والعواطف والادب ، لا لغة العلم والمعرفة ، المنبثقين عن الحياة المعاصرة .

وحين نتخلّص من هذه العقدة ، يمكن أن نسير في حل مشكلة المصطلح في العلوم الانسانية على ضوء مجموعة من الحقائق ، نلخّصها فيما يلي :

١ ــ ان المصطلحات المستجدّة الخاصة بالعلوم الانسانية هي،في الواقع ، أقلّ بكثير من نظيراتها الخاصة بالعلوم الطبيعية والتطبيقية .

٢ ــ ان تراثنا العربي ، بَدءًا بالقرآن الكريم والسنّة النبوية ، ومرورا بمؤلفات ادباء العربية وكتّابها الكبار عبر القرون ، حافلة بالمصطلحات المتعلقة بالعلوم الانسانية ؛ وهذه المصطلحات ،

حين تفرغ وتنظم في جداول حسب موضوعاتها ، كفيلة بأن تُمِدّ الدارس بالكثير مما يحتاج اليه من الالفاظ التي يتلمّسها للدلالة على معان جديدة عليه . وفضل هذه الالفاظ على غيرها ، انها قد اكتَسَبَت عبر تاريخ استعمالها في البيئة العربية ، دلالات وايحاءات لا يمكن أن تكون لالفاظ اخرى ، فضلا عن انها استُخدِمَت في ظل حضارة وقِيَم عربية ، وطرائق عربية في الحياة .

٣ ـ واذا عَزَّ اللفظ العربي لمصطلح أجنبي جديد ، فمن الافضل ان يُنظَر في تلمُّس المصطلح العربي المقابل الى وظيفة المصطلح الجديد ، او الى مدلوله الفعلي في لغته . ولقد مررنا في مجمع اللغة العربية الاردني بهذه التجربة ، في مصطلحات تَمُتّ الى ميادين علم مختلفة ؛ وكنا نسترشد بوظيفة المصطلح الاجنبي ، ولا سيما اذا لم يسعفنا البناء اللغوي للمصطلح ، فنجد في ذلك عونا لنا في تقديم المقابل العربي . وقد يشذّب لفظ المصطلح ، وقد يؤخذ جملة كما هو ان كانت له صبغة عالمية لا تحصره في نطاق لغة دون اخرى .

٤ ـ ولكي يمكن امداد المترجم او المدرس بذخيرة من المصطلحات في مادة تخصّصه ، تُلتَمَس هذه المصطلحات في المعجمات الاجنبية المتخصّصة ، ومن ثم تُلتَمَس لها المقابلات العربية .

٥ ـ واذا كان الامر يستدعي في البداية ان يُضَمّ مصطلحات كل فرع من فروع العلوم الانسانية كراسٌ خاص بها ، فان الهدف النهائي ينبغي أن يكون وضع معجم كبير لمصطلحات العلوم الانسانية ، يكون عونا للدارس والمدرس على السواء ، ويضمّ بين دفتيه المصطلحات المأخوذة من تراثنا ، اضافة الى المصطلحات المستجدّة . وقد يكون من الخير ان يحتوي هذا المعجم على الفاظ مقابلة بلغة اجنبية واحدة على الاقل ، لما في

ذلك من عون للباحثين والمترجمين في اطار هـذه العلوم . وهذا المعجم كأي معجم آخـر ، يكون قابلا للتنقيح والزيادة ، فـي فترات زمنية متّفق عليهـا .

٦ ــ وغنـيّ عن البيان ، أن جهودا كهذه لا يمكن أن تكـون فرديـة ، وذلك بسبب ضخامتها وعجز الافراد عن القيام بهـا ، ولاننا نتطلع الى ايجاد المصطلح العربـي الشامل ، لا المصطلح الخاص ببلـد دون آخـر . وكثير من المشكلات التي نواجهها في تعريب العلـوم الانسانية ، انمـا كانت نتيجة انبثاق المصطلح من جهـد فردي او اقليمي ، دونمـا تنسيق بين الجهود على نطاق الوطـن العربـي كلّـه .

٧ ــ ولتوحيـد المصطلح على نطاق العالم العربي ، ولامكان القيـام بالمجهودات الكبيرة التي تتطلّبها عمليـة التوحيد ، ثم عمليـة الطباعة والنشر ، يمكن السير في خطوات لم تُعَـدْ مجهولة لمـن شاركوا في اعمـال التعريب ، والهيئات التي تنظّمهـا وتشرف عليها في العالـم العربي ؛ وهي كما يلـي :

أ ــ تقـوم الهياة المحلية في بلـد عربي بمجهود على مستوى ذلك البلـد ، في عملية تعريب المصطلحات . وهـذه الهيـاة ، غالبا ما تكون مُجْمعا للغـة العربية،إن وُجـد ، او جامعة ، او ايـة مؤسسة معنية بأعمال التعريـب ، مثل لجان التعريب والترجمة والنشر الوطنيـة .

ب ــ تُرسَـل حصيلة هذا المجهود الى اتحاد المجامـع العربية ، ومكتب تنسيق التعريب في الربـاط ، والمنظمة العربيـة للتربية والثقافة والعلـوم .

جـ ــ تُضَـمّ هذه الحصيلة الى نظائرها في كراس يُخَصَّص لكـل مـادة ، وتقدَّم الكراسات المختلفة الى مؤتمـر التعريب

العـــلمّ الذي ينعقد مرة كـــل ثلاث سنوات ، وتُناقَش مقترحات البـــلاد العربية المختلفة من خلال لجان تنبثـــق من المؤتمـــر ، وتختصّ كل منها بمادة من المـــواد .

د ــ يُمثّـــل ما اتفقت عليه هذه اللجان تَبنّيـــًا على مستوى العالم العربي لمصطلحات معينـــة . واذ تطبع هـــــذه المصطلحات وتوزع ، فان كل بلـــد عربي ، في جامعاته ومؤسساته المختلفة ، يكون ملتزما أدبيـــا بالاخذ بهـــــا واستعمالهـــــا .

هـ ــ وحـــين تتكامل هذه المصطلحات ، وتشمل مراحل التعليم المختلفة ، ينبغـــي أن تُجمَع في معجـــم فنّي يضمها جميعا .

ولا بـــدّ هنا من التنويه بالجهد الذي يبذلـــه مكتب تنسيق التعريب في الرباط ، في جمـــع المصطلحات المرتبطة بميادين معرفة مختلفـــــة وتنسيقها ، واخراجها في كراسات ، فضلا عـــن نشره طائفة كبيرة من هذه المصطلحات في (اللسان العربي) ، المجلـــة التي تصدر عن المكتب . وحبّذا لـــو كانت الاستفادة من هذه الكراسات والمجلـــة على نطاق اعمق واوسع في البـــلاد العربية ، اذ ان الكثيرين ، حتى من المختصّين ، لـــم يستفيدوا ، أو لم تتح لهـــم فرصة الاستفادة ، من محتوياتهـــا .

وممـــا يرتبط بموضوع المصطلحات في الدراسات الانسانيـــة ، أن يُتّفَق على أن توضـــع في نهاية كل كتاب يُترجَم الى العربية من لغـــة أجنبية ، قائمة بالمصطلحات التـــي وردت في الكتاب ، مع مقابلاتهـــا العربية التي استعملت في الترجمـــة ؛ لان في ذلك فائدة لقارىء الكتـــاب ، ولان حصيلة هـــذه القوائم ستكون من الروافد التي ترفـــد عمليـــة التعريـــب المستمـــرة .

المنهـــــاج :

قـــد يبـــدو الحديث عن المنهاج في موضوع تعريب العلـــوم الانسانية امـــرًا خارجا عن الموضوع ؛ ولكن اذا فهمنـــا تعريب هذه العلوم بالمعنـــى الواسع ، الذي يتجاوز مفهـــوم الترجمة ونقـــل المفردة الاجنبية الى العربية ، فـــان منهاج هذه العلوم يدخل مباشرة في موضوع التعريـــب ، لان تعريب العلوم الانسانية ، ينبغي ان يُفهَـــم منه كذلك ارتباط هذه العلوم بمـــوادّ دراسية تتصل بالمجتمع العربي في حاضره وماضيه ومستقبله علـــى السواء . ونحن اذا استعرضنـــا مناهج التربية وعلـــم الاجتماع والفلسفة والاقتصاد ، على سبيـــل المثـــال ، فاننا قلّما نجد في هذه المناهج مـــادة كافية عن مبادىء التربية العربية الاسلاميـــة،او اشكال تطبيقها ، أو عـــن النظرية الاجتماعية الاسلامية ، وما أُنجـــز في هذا الميدان من دراسات ، أو عـــن الاقتصاد الاسلامي كما يمكـــن استخلاصه من النظرية والتطبيـــق .

ثـــم ان هذه المناهج ، قَـــلَّ ان تُركِّز على المجتمـــع العربـــي الحديث ، في دراسة اوضاعه الراهنة ، واستقصاء حاجاتـــه ، وتَلَمُّس الحلول لمشكلاته . فالدراسات الانسانية ليست مجـــرد دراسات نظرية ، بـــل هي ، في الدرجة الاولى ، دراسة لمجموعة الناس التي ينتمي اليها الطالب ، أو هكـــذا ينبغي ان تكون . وهي بالتالي ينبغي ان تكـــون في الجامعات العربية دراسة للمجتمـــع العربي في حاضره وماضيـــه ، قبل ان تكون دراسة لمجتمعـــات اخرى . وتعريب هذه العلوم ينبغي ان يُفْهَم منه ، ضمن مـــا يُفْهَم ، توجيهها لخدمة الانسان العربـــي والمجتمع العربي ، من اجـــل صياغة الفكر العربي،والاتجاهات والمواقف العربية ؛ لأنّ هذه العلـــوم ، دون غيرها ، هي التي تحـــدد هويـــات الأمـــم ، وهي التي تُعرِّف ابناءها بماهية المجموعة الانسانية التـــي ينتسبون اليها : بتراثهـــا الماضي ، ووضعها الحاضر ، وتطلعاتهـــا نحـــو المستقبـــل .

واذ ندعو الى ان تعالج في مناهج العلوم الانسانية قضايا الانسان والمجتمع العربيين ، لكي لا تكون هذه المناهج نُسَخًا عن مناهجَ وُضِعت لمجتمعات غير مجتمعنا ، فاننا لا نقول بالانقطاع عن العالم الخارجي ، وما تَوَصَّل اليه هذا العالَم من افكار ونظريات تتعلّق بهذه العلوم ، ومن تجارب في نطاق مادتها ؛ غير ان ذلك ينبغي تناوله بالقدر الذي يمكن الاستفادة منه في مجتمعنا وبيئتنا ، حتى لا يُشْعِر طالب التربية،مثلا ، انه يعالج امور التربية في امريكا ، ولكي لا يشعر طالب الاقتصاد ان قضايا السوق الاوروبية المشتركة ، مثلا ، تطغى على القضايا الاقتصادية التي يواجهها العالم العربي ، والبلد الذي يعيش فيه .

ولما كان مدرِّس المادة في الجامعة هو الذي يضع ، في المعتاد ، منهاج مادته ، فانه مدعوّ الى ان تكون هذه المادة عربية الاهتمامات بالدرجة الاولى ، مع ضرورة الالمام باية نظريات او تجارب عالمية نافعة يستفاد منها جميعا ، باعتبارها ادوات مساعدة يستخدمها الباحث للوصول الى الحقائق .

الترجمة :

عملية التعريب في العلوم الانسانية ، كما في اي نوع من علوم العصر ، تقتضي ترجمة كتب اجنبية كثيرة الى اللغة العربية .

وتلك بديهية من البديهيات ، لا تحتاج الى تبرير او تعليل . ولكن يبقى ان نتساءل عن نوعية الكتب التي تُتَرجَم ، والكيفية التي تَجري بها الترجمة ، لانه لا يمكن ان يُترَك امر ترجمة الكتب الى الافراد وحدهم ، لكي يختاروا ما يشاؤون منها ويترجموه كما يشاءون .

ولعل النقاط التالية ، تمثل ايجازا لمجموعة من التصورات في هذا الشأن :

أ ــ تتكـوّن باشراف اتحاد الجامعات العربية لجـان ، يُختَصّ كلّ واحدة منها بواحد من العلـوم الانسانية ، وتضمّ اعضاء هيئـات تدريس مختصين مـن جامعات عربية مختلفة ، لاختيار امهـات الكتب في الموضوع المعنيّ ، من أجـل نقلها الى العربية .

ب ــ يوكل الى كل بلـد عربي ، من خلال جامعاته الممثّلة في الاتحـاد ، ترجمة كتـب معينة من تلك التي اختارتها اللجان المختصـة ، حسب امكانيات البلـد البشرية والماليـة ، واللغـة الاجنبية الشائعـة فيـه .

جـ ــ تتعاون الجامعات العربية في كل بلـد عربي مع مجامع اللغـة العربية حيثما وجدت ، ومع أيـة هيأة او افراد يمكن ان يسـهموا في عملية الترجمة ، وتضطلع هـذه الجامعات بنفقات الترجمـة والطباعـة .

د ــ تستفيـد الجامعات العربية جميعها من الكتـب المترجمة ، بـأن تقتني منها في مكتباتهـا ، وبأن تتيح لمـن يشاء من طلبتهـا الحصـول عليهـا .

هـ ــ تجتمـع هذه اللجان اجتماعات دوريـة ، كل ثلاث سنوات على الاقل ، من أجـل اقتراح كتب جديدة للترجمـة .

و ــ يُوصَى بأن يكون مثل هـذه الترجمات ، حين يضطلع بهـا اعضاء هيئات التدريس ، سبيـلا الى الترقية في المراتـب الاكاديمية .

ز ــ لتسهيـل عملية الطباعة والنشر ، قـد يكون من المفيـد ان تنشأ في كل جامعة عربيـة،كما هي الحال في الجامعة الاردنيـة ، دار للنشر ، تتولى الانفـاق على الترجمة والطباعـة ، وتقـوم بعمليـة النشـر .

ح ــ ايّــا ترجمة لكتاب في جامعة عربية ، يُعَمَّم خبرها على جميــع الجامعات ، ومجامع اللغــة العربية ، والمنظمة العربية للتربيــة والثقافة والعلوم ، ومكتــب تنسيق التعريب في الربــاط ، احترازا من ازدواج الجهد والنفقــات .

ويجــدر القول هنا إنّ لمجمع اللغــة العربية الاردني تجربــة متواضعة ناجحة في ترجمة الكتــب العلمية ، اذ اختار المجمــع ، بمعرفة المختصّين في كليــة العلوم في الجامعة الاردنية ، مجموعة من الكتــب التي تُدَرَّس للسنة الاولى في اقسام الكليــة المختلفة ، وكلّف مجموعــة من اساتذة الجامعة الاردنية وجامعــة اليرموك ترجمتها . وقــد سار العمل في الترجمة سيرا مرضيا ، وستكون الترجمات العربيــة جميعها في متناول ايدي الطلاب ، باذن اللــه ، قبل نهاية عام ١٩٧٩/٨٠ ، مع قوائم في نهاية كل كتاب مترجــم ، تضم المصطلحات الواردة فــي الكتاب ، مع مقابلاتها العربية . وقــد أُحيطت الجامعات العربيــة ومجامع اللغــة العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلــوم علمــا بذلك . والمتوقّع الاّ تقتصر الاستفادة مــن هذه الكتب علــى جامعتي الاردن ، بــل ستكون عامة في الجامعات العربية كلها . فــاذا استطاع المجمــع الاردني ، بامكانياته المتواضعة ، ان يشرف علــى هذه الترجمات وينفّذها ، فــان الامكانيات المتضامنة للجامعات العربية ، كفيلة بان تنتج اضعاف ما انتجه هذا المجمــع . والامل وطيد في ان تساعِد هذه الكتب المترجَمة على البــدء ، في اقرب وقت ممكن ، بالتدريس باللغــة العربية في كليــة العلوم في الجامعة الاردنيــة .

وبمــا ان تَتَبُّع المستجدّ في علوم العصر عامة انما يُلْتَمَس عادةً فيما تنشره الدوريات العلمية ، فانّ من المفيد جــدا أن تحيا توصيةٌ كانــت قد اتُّخِذَت في حلقــة الترجمة التي انعقدت في الكويت عــام ١٩٧٣ ، ومؤداها ان تَصْدُر عن المنظّمة مجلّــة علمية ، تُنشَر فيها ترجمــات البحوث التي تُتَخَيَّر لأهميتها ، ومثل هذه المجلــة ، ان وُجدت ، يشارك في الكتابة فيهــا الاساتذة المختصون في ايــا جامعة من الجامعــات العربيــة .

وقـد يتبنى اتحاد الجامعات العربية نشر هذه المجلـة ، وتَخَيُّر موضوعاتها ، وتوزيع مادتهـا الاصلية على الجامعات العربية للقيـام بترجمتها . ومثل هذا المشروع لـو خرج الى حيّز التنفيذ ، فانـه سيكون ذا فائدة مزدوجة ، لانـه يصل المختصين بالجديد من البحوث في ميادين اختصاصهم ، ويُهيّىء لهـم الفرصة لنقل المـادة المكتوبة بلغـة اجنبية الى اللغـة العربية ، بما يحمله هذا النقل من استعمال للغـة العربية في التعبير عن هذه العلـوم في أحدث أوضاعها ومعطياتها ، ومن تعريب للمصطلحات التي تَـرِدُ في بحوثها . وهنـا يجدر أيضا أن تُتْبَع كلُّ ترجمة لبحـث من البحوث بقائمة تضمّ ما ورد فيه مـن مفردات اصطلاحية ، تُكْتَب بكلتـا اللغتين : العربية والاجنبيـة .

التأليـف والنشـر :

أيّمـا حديث عن التعريب لا بـد ان يُذْكَر فيه ، في معرض تعداد الصعوبات ، قلّـة المراجع باللغة العربية . وهـذا التهيُّب من التعريب، والتحدّث عن الصعوبات التـي تكتنفه،سيبقيان على الالسنة الـى أن يَدْخُل المسؤولون عن التعريب فِعـلاً في التجربة ؛ فمثل هذا التهيب كان قائما في السودان بالنسبة الى تعريب التعليـم الثانوي ، قبـل ان يصبح هذا التعريب حقيقة واقعة ؛ وهو ما يزال قائمـا بالنسبة الى بعض مراحل التعليم العـام في بعض من اقطار المغـرب الشقيـقة. والواقع انـه بالنسبة الى العلوم الانسانية ، تُمثّل المراجع مشكلـة أخفّ بكثير مـن مشكلة المراجع في العلوم الطبيعية ، لان مـا أُلِّـف بالعربية في هذه العلوم ، اكبر بكثير مما أُلّف بهـا في العلوم الطبيعية . ولكننا نبقى مع ذلـك بحاجة الى مزيـد من المؤلفات من نمط معين ، هـو النمط الاكاديمي الذي يَحمل سِمَة البحث العلمـي .

وحـين يوضع أساتذة الجامعات العربية أمـامَ مسؤولياتهم تجاه طلبتهم ، بعد التعريب العـامّ الشمولي للعلوم الانسانية ، فانهـم لا بـد أن يؤلفوا ويترجموا لكـي يؤمّنوا لطلبتهم المراجع التي لا بـد منها ، لان تعريبا بالمعنى الصحيح ، ينبنـي عليه الا تفي الكتب الاجنبيـة

باحتياجات الطلبة العرب ، حتى لـو كان الطلبة قادرين ، من الناحيـة اللغوية ، على استيعاب المـادة المكتوبة باللغة الاجنبية . وهنـا أود ان اتحدث عن تجربة عمليـة في الجامعة الاردنية ، تُدِّر لكاتب هـذه السطور الاطلاع عليها عن كثب ، حين كـان يشغل منصب عميـد البحث العلمي والدراسات العليـا في الجامعة المذكورة . هذه التجربة ، تمثّلت في اتاحة الفرصة لاساتذة الجامعـة لأن يقدّموا بحوثا اصيلـة الى مجلـة علمية تصدر عن العمادة تحت اسـم (دراسـات) ، يُعْتَبَر النشر فيها من سبل الارتقاء في المراتـب الاكاديمية . واُشتُرِط فيما يُقدَّم للنشر فيهـا في اطار العلوم الانسانية ، أن يكون باللغـة العربية دون غيرها ؛ كمـا تمثّلت في اتاحة الفرصة لاعضاء هيـأة التدريس لان يتقدموا بمؤلفات لهـم تدعمها العمادة ماديـا ، في اطار ميزانية دعـم البحوث العلمية .

وقـد يصل الدعم،بالنسبة الىالكتب المتميّزة ، الى حـدّ تغطيـةٍ كلّيّـةٍ للنفقات ، بالاضافة الى نشر الكتاب ، ومكافأة مجزية للمؤلـف ، وذلك في اطـار دار النشر التي انشئت في العمـادة ، ورُصِدَت لهـا ميزانية خاصة . وغنـيّ عن البيان أن المؤلفات التي تدعمها العمـادة ، تكون هي الاخرى من سبـل الارتقاء في المراتـب الاكاديمية في الجامعة .

ومعنى ذلك انـه عندما يواجَهُ استاذُ علـم من العلوم الانسانية بحاجته وحاجة طلبتـه الى المراجع العلمية ، في ظِـلِّ مناهج يخططها هو لتسدّ احتياجات المجتمـع الذي يعيش فيه ، ولا تكفي فيها المراجـع الاجنبية والمراجع العربية المطبوعـة ، وحين يَجِدُ هذا الاستـاذ أن مؤلفاته تَحظى بسُبُل الدعم المالـي والنشر ، وتهيّيء لـه اسباب الترقية في جامعته ، فـان كل هذه ستكون عوامل تدفع بـه الى ان يكتب بحوثا اصيلة ، او يُعِـدّ ترجمات لنشرها في مجلـة ذات قيمة علمية تصدر عن جامعته ، والى ان يؤلف كتبا في مـادة اختصاصه وهـو مطمئـن الى توافر كل ما يحتاجه الكتاب الجيـد من متطلبات ، قد يعجز الفـرد عن تامينها . والواقع أن المجلـة التي تصدر عن عمـادة البحث العلمي

والدراسات العليا في الجامعة الاردنية ، لم تكن تقتصر فيما تنشره على انتاج العاملين في الجامعة ، اذ كانت وما تزال تنشر المادة الصالحة من حيثما وردت ، بعد أن يُقوِّمها المختصّون .

ذكرتُ هذه التجربة في الجامعة الاردنية ، لأقول إنها تجربة قابلة لان تعمَّم في كلّ جامعة عربية ، لانها سبيل عملي للحفز على كتابة البحوث وتاليف المؤلفات في كل جامعة . وجدير بالذكر أن ما كان يصدر عن العمادة من مجلات وكتب ، كان يجد سبيله الى الجامعات العربية عن طريق الاهداء والتبادل .

ولا شك أن تعميم التجربة على الجامعات العربية كلِّها سيُغني اثراءً لمكتبات هذه الجامعات ، وتامينا للمراجع المطلوبة ، او لعدد كبير منها على الاقل .

الطالب :

من المسلّمات ، أن الطالب العربي يفضّل أن تكون دراسته في العلوم الانسانية ، وايّة علوم أخرى ، بلغته العربية ، لان ذلك يكفيه جهدا ووقتا يُبذَلان في تقصّي معاني المفردات والتركيبات اللغوية الاجنبية.

ولذا فاننا لا نحتاج الى أن ندفع الطالب العربي الى قناعة باستعمال اللغة العربية فيما يتعلم في الجامعة . بقي أن نتلمّس الدور الذي يُمكِن لهذا الطالب أن يضطلع به في عملية التعريب ؛ ولا سيما ان الطالب الجامعي الآن أصبح له دور ايجابي في العملية التعليمية ، مثلما أن له دورا في العملية التعلُّمية ، ولم يُعُد مجرد مُتَلَقٍّ للمعارف عن اساتذته . وفي نطاق المشاركة والتعاون مع استاذ الجامعة ، يمكن للطالب الجامعي أن يُسهم في تعريب العلوم الانسانية على النحو التالي :

١ ــ قد يعمل بتوجيه من اساتذته على استقصاء الكتب العربية في العلوم الانسانية ، سواء أكانت كتبا تراثية ، أم كتبا حديثة ،

مع تعريف موجز بهـا ؛ وذلك بالاستعانة بمكتبة الجامعة ، أو بأيـا مكتبة قد تتوافر فيها هذه الكتب .

ب ـ وقـد يقوم الطالب الجامعي بالاسهام في استقصاء المفـردات ذات الدلالة الاصطلاحية في كتـب التراث العربي الخاصة بالعلـوم الانسانية ، ثـم ترتيب هذه المصطلحات والتعريف بدلالاتهـا .

جـ ـ وقـد يقوم الطالب، من ناحية أخرى، بالمساعدة في رصد المصطلحات الاجنبية في هـذه العلوم، بتجريدها من كتـب انجليزية أو فرنسية ، حسب اللغـة الاجنبية المستعملة في جامعتـه .

د ـ وقـد يُكَلَّف ترجمة فصل أو فصول من كتـاب أجنبي ، ليتمرَّس بالاسلوب العربي والاجنبي في هـذه العلوم ، ويألف مصطلحاتـه في غيرها لغـة واحدة .

هـ ـ ويمكـن أن يقوم خلال العام الدراسي بكتابة بحـوث باللغـة العربية ، يستعين في كتابتها بمصادر عربيـة واجنبية ، ثـم يناقش هذه البحوث مع زملائـه تحت اشراف أستاذه في قاعة المحاضرة ، لكي يتدرّب هـو وزملاؤه على معالجة موضوعات هذه العلـوم مشافهة ، مثلمـا يتدربون على معالجتها كتابـة .

و ـ وفي نطـاق الدراسات العليا التاليـة للشهادة الجامعية الاولى ، يوجَّـه الطلبة لكتابة رسائلهم العلمية باللغـة العربية ـ كمـا يجري الآن فعلا في معظم الجامعات العربيـة ـ ويُحَرَّص على ان يهتموا، في مـادة رسائلهم هذه بصورة خاصة ، بالمجتمـع العربي في ماضيه وحاضره ومستقبله ، وأن يبـرزوا ما أمكن النظريـة الاسلامية فيمـا يتعلق بالقضايا المثارة ، وكذلك المعطيات التاريخية للحضارة الاسلامية ، بشأن مـا يعالجونه في دراساتهم ؛ مـع الاستفادة الكاملة من أيـة نظريات أو دراسات أو ممارسـات موجودة في أي مجتمع من المجتمعات العالميـة .

وقـد يكون من المناسب ، أن أستفيد من ملاحظة وردت في ورقـة قدّمها الدكتور سيد حامد حريز الى المؤتمـر التاسـع لاتحاد المعلمين العـرب في شباط ١٩٧٦ ؛ ومفاد هذه الملاحظـة ، انـه ينبغي الا نرى العالَم من حولنـا ، او نرى انفسنا بعيـون انجليزية أو فرنسية . وهنـا قد نحتاج الى التذكير بأن اللغـة ليست وسيلة تواصل واتصال فقط ، وانمـا هي كذلك طريقـة احسـاس وتفكـير .

ز ـ وفي البـلاد التي ما يزال التعليم في المرحلة الثانوية فيها باللغـة الاجنبية ، لا بـد من التنبيه الى ضرورة تعريب التعليم الثانـوي قبل أن ينتقل الطالب في تلك البـلاد الى المرحلة الجامعية ، لان من المخالف لطبائع الاشياء أن نستعين بالطالب الجامعي الجديـد في عملية التعريب ، وهـو نفسه ما يزال لم يُعرَّب بعد في ثقافتـه .

القـرارات والتشريعـات :

مـن الممكن أن يتجادل القائمون على التعليم الجامعي مـدّة نصف قرن حول تعريب هذا التعليـم ، وأن ينقسموا بين محبِّـذ ومعارض ، دون أن يُعْدَم اي من الفريقين حججـا يقدمها لدعم موقفه . واذا كنا قـد احجمنا في هذه الكلمـة المتواضعة عن تفصيل الحجج المؤيـدة للتعريب ، اعتقادا منـا بأن تلك مرحلة قد فرغ المعنيّون بالموضوع منها وتجاوزوها ، فانه لا بـدّ من القول إنّ اجراءً واحدا فقط هو الذي ينقـل الموضوع كلّه من حيز الجدل النظري الـى حيز التطبيق العلمي ، وذلك هـو القرار السياسي او القانوني او الاداري ، سواء أَصَدَرَ هذا القـرار عن السلطة العليا في الدولـة العربية ، أم عن وزارة تعليمٍ عـال ، إن وُجِدت ، أم عن ادارة كـلّ جامعة من الجامعات العربية . واذ يوضع أعضاء هيـأة التدريس أمام الامر الواقع ، فانهـم سوف يواجهون متطلباته ، ويُعِدّون لـه ما يحتاجه . والصعوبات التي سيواجهونهـا ، ستعالَج من خلال التكيّف بعـد ممارسة التجربة،لا قبلها ؛ فنحـن لا

نستطيع أن نتكيف مع اوضاع لـم نمارسْها اطلاقا ، ولا يمكن لتَهيُّبٍ من شيء ان يزول الا بعد أن يُمارَس ذلـك الشيء فعلا ، وغالبا مـا يُتَبَيَّن ان ما تَهَيَّبْنا منه كـان مبالغا فيه . واذا كانت النقلـة الـى اللغـة القومية قد نجحت في عـدد كبير من بلاد الدنيا ، فلا يوجـد سبب يحول دون نجاحهـا في الجامعات العربية . وقد يبـدو من باب المتناقضات أن عالَمًا كالعالَم العربـي ، بموقعه الفريد ، وامكانياتـه الاقتصادية الهائلة ، وبتجربة لغتـه الحضارية العريضة العريقة ، وبما لـه من دور في شؤون العالم المعاصر ، مـا يزال يتهيّب الدخول في تجربة التعريب ، مـع ان تاريخ الحضارات يثبت ان الأمـم انما تبدع بلغاتها القومية ، وان الذي يكـون عالة على لغـة أجنبية فيما ينطق بـه ويكتبه ، يكون كذلك عالـة على الناطقين بتلك اللغـة فيما يحتاجه ، بل فيما يفكر فيـه .

خاتمـــة :

وفي النهايـة ، اسمح لنفسي بأن استفيـد مباشَرَةً من فكرتين اوردهما الدكتور رشدي فكار في بحثه الذي قدّمـه الى مؤتمر تعريـب التعليم العالي في الوطن العربي ، الذي عُقِـد في بغداد في آذار عـام ١٩٧٨ ؛ وأُولى تلك الفكرتين تتعلّـق بالدعوة الى القيام بعمل جماعـي متكامل ، يَرصُد مراحل تطوّر امتنا دون اهواء أو تذوقات شخصية لكل مفكر على حدة ، والثانية تتعلّق بتقديـم النظريات العامة لحضارة اليـوم الغربية ، وقدراتها المنهجية ، وعـدم ترك الساحة الفكرية للترجمـات التجارية والمبيتة والموجهة ، بهدف سلب شبابنا ذاتيتـه ، وتعريتِهِ وتشكيكِه في أرضيّتـه .

والهـدف من الفكرتين واضح،فهو يتمثل في استبانة المعالـم الكبرى للتطوّر الحضاري الذي مرّت بـه امتنـا ، حتى تتراءى تلك المعالـم بصورة موضوعية في احجامهـا الحقيقية ، وفي ركائزها الاساسيـة ، كيـلا يضيع الدارس في التفصيلات الجانبية ؛ وكذلـك في استبانة

الاسس والمفاهيم التي تقـــوم عليها الحضارة الغربية المعاصرة ، كيـــلا يضطرب الدارس بين الاصل والفرع ، والجوهر والمظهر ، ولكي يتجنّـــب المزالـــق ، فيأخذ من تلك الحضارة ما ثبت نفعـــه دون ضرره ، ممـــا يساعده على تحديد طريقه ، والاستقلال بشخصيته ، والنجاة مـــن اقتداء جاهل او تبعية غـــير مبصرة .

الدكتور محمود ابرٰهيـــم